

رجل معتل به

مجموعة قصصية

عبد الإله الأنصاري

النادي الأدبي الثقافي

ح نادي الطائف الأدبي، ١٤٣٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأنصاري، عبدالإله

رجل معتل به/ عبدالإله الأنصاري – الطائف، ١٤٣٢هـ

.. ص ، .. سم.

ردمك: ١-٩١-٠-٦٢٠-٦٠٣-٩٧٨

١ – الشعر العربي – السعودية أ. العنوان

ديوي ٨١٣,٩٥٣١ ١٤٣٢/٢٢٧٢

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٢٢٧٢

ردمك: ١-٩١-٠-٦٢٠-٦٠٣-٩٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليهم بعد أنهكهم الصبر

يعوي عارياً

كانت تبكي وكنت محصوراً . نسيت بأني كنت أقتلها. نهضت مسرعا وشعرت بألم شديد فاضطررت لأن أتكئ على الجدار حتى وصلت إلى دورة المياه، راعني بعدها اللون الأحمر. غادرت بعد ذلك دون أن أخبر بشرى. الذعر الذي أصابني فتح لي منفذاً واحداً يشبه الهروب من الموت.

اتجهت من فوري إلى العم سعد ، ذلك الكائن الغريب، الذي أمقته وفي الوقت نفسه لا بد أن أعرج عليه أكثر من مرة في اليوم الواحد ، ولا أعلم لماذا.

الطريق إلى منزله يأخذني عبر أزقة ضيقة وكلما اقتربت منه أشعر بتسارع خطواتي وكأن قوى خفية تجرفني نحوه حيث يسكن آخر الحي، كأنه اختارأن يكون البدء منه والمنتهى إليه .

كعادتي أركل الباب بقدمي ، لم يصدف أن وجدته مغلقاً ، أدخل إليه بدون سلام وأتخذ مجلسي بعيداً عنه.

وأمسك (بالريموت) الذي أجده دائما حيثما أجلس، لا أدري إن كان هو من يتركه لي هناك بعد كل اتصال أجريه معه أخبره فيه بمقدمي أم أنه لا يشاهد (التلفاز) . كالعادة، يبدأ ثرثرته حول ماذا فعلت وأين ذهبت ومن التقيت، وأجيبه كعادتي بإيجاز، وأتركه بعد ذلك يملي نصائحه أو يعود بذاكرته لمواقف شبيهة بتلك التي حدثته عنها ، أو يسرد علي بعض حكاياهوحينها أكون انشغلت عنه بتقليب القنوات.

في غمرة متابعتي لأحد البرامج انتبهت إلى صوته وهو يقول:

-أعلم بأنك ستعود ، ولكن ليس قبل أن تنبت في عقلك شجرة الخطايا.

.يا بُني طينتك طريّة لم تختبر بعد ، الشر هو أنا وأنت. إذا لم تنغمس في الشرور لن تستطيع إدراك معنى أن تكون حياً ، لن يمكنك فهم المعنى الحقيقي لكلمات مثل أعيش وأتنفس، لن تفهم معنى أن تتخلص من خوفك، وتخلع جلدك الذي ورثته من دون خيارات متاحة ، وأن تعود روحك إلى الأصل بعد ذلك، إلى فطرتك ، طينتك الأولى، معدنك الحقيقي بعد ذلك ..

كنت أستمع إليه واسخر من شعوذته في قرارتي، وأنحي باللائمة على الخرف الذي يبدو بأنه وجد له مستوطنة يتسكع فيها داخله.تململت وطرقعت أصابعي وأخذت (أمزمز) بشفتي. تعمّدت أن يلاحظ كل ذلك ليعفيني من محاضرته المملة، أو هكذا توهّمت، ويبدو أن فطنته وجدت طريقاً آمنا من بين أزقة خرفه لتتسلل منها ، فلقد بتر حديثه في وصفه لِكُنْه طينتي واعتذر مني على الوقت الثمين الذي ترّمد في حضرة شيخ كبير.تبسمت له وأرسلت عدة كلمات شكر واعتذار سريعة ومبهمة وأنا أتجهز للوقوف وعيني تتلصص على الباب بجذل لم تستطع محاولاتي - غير الجدية في مجاملته - إخفاءه.عندما غادرت أخذت أتهكم من اعتماد كبار السن على خبرتهم في الحياة، واستدعيت المقولة التافهة (أكبر منك بيوم أعلم منك بسنة).يهمني ألا (يتفزلك) أحدهم ويجعلني أجلس

القرفصاء أمامه ليمارس أستاذيته علي.توجهت إلى المقهى حيث ينتظرني صديقي ماجد. عندما أخبرته بما دار بيني وبين عم سعد، وطريقتي في الهروب منه، نظر إلي باستغراب وسألني:- لماذا هرعت إليه إذن؟- لا أدري. - ..- بصدق لا أعلم لماذا ، ولا تنظر إلي هكذا. ربما أردت أستمع إلى صوت آخر فقط. ولكن ليس أي صوت.تعلم بعد أن تركت بشرى داهمني هاجس موحش وشعرت بفكي تنين يلهبان قفاي، وأكثر من ذلك أصبحت أخشى دخول دورات المياه، ينتابني شعور بأنني سأموت في إحداها، لذا لن أدخل إليها إلا للضرورة القصوى، وسأترك الباب مواربا، وأحاول أن أنتهي بسرعة كي أغادرها قبل أن يحدث لي شيء مما أخافه، وذلك الشيخ الطاعن في السن يريدني أن أنغمس في الخطايا كي أميز بين الأشياء.لا يعلم بأني أعيش في مستنقع، تحيط بي القاذورات من كل جانب.أي خطايا تلك التي يريدني أن أتنقع فيها وأنا الذي يقيم مجبراً في وسط الوحل؟- لا يبدو أنك بخير، هل جربت زيارة استشاري نفسي؟- الاستشاري حقيقة. ويخالجني شعور بأن مثل هذه الحقيقة لا تكون منطقية في أغلب الأحيان، هي ليست إلا شفرة حادة يتم استعمالها بشكل سيء، أي أني لن أصل معه إلى نتيجة مرضية لي، سوى تغذية شعوره باستحقاقه للقب، وهنا يكبر وهمه وتصغر ذاتي، ولا أريد لهذا أن يحدث. اعتبره نوع من الرفق.

أتذكر سؤالاً شاكسني فيه عم سعد:- حينما تسعى إلى الموت بقدمك ويرفض تطوُّعك، هل يعني ذلك بأن الحياة تتمسك بك وتحب

وجـودك أم أن المـوت يـراك أحقـر مـن أن يقبـل بـك في ذلـك الوقـت، ويفـضّل أن يخطفـك في وضـع لم تكـن مهيئـاً فيـه لاسـتقباله؟ لاحـظ أني أخشى الموت في كل حالاتـه ومـع ذلـك مـن الجبـان هنـا.؟وجـدتني أجيب بدون تفكير:-

ربما لا أحد.!- ربما.

نهـضت وتركـت ماجـد ورائـي يكمـل (المعـسل) وعـدت إلى الـشيخ لأجـده منكبـاً علـى وجهـه يعـوي عاريـاً وعنـدما رآنـي أخـذ يـضحك بـشكل هـستيري. أخـذت مكـاني بجـواره وقمـت بتقليـده وأخـذت أضحك مثله.

الذي أصبح وصياً

"سبعون ألف متشرد يتلقون طعاماً من أحد المطاعم مجاناً في بولندا"*

سألت صديقي:

-ما الذي يدفع صاحب مطعم في بولندا الدولة الإشتراكية لتقديم طعام بالمجان

لهذا العدد الكبير جداً من المشردين؟

وبدون أن يعمل فكره أجاب:

- لأنه إنسان، يشعر، يحس، يتفاعل، يتألم، ولأنه إنسان أيضاً.

صديقي الذي لم يعتد يكترث لشيء، منذ أن أسرج خيول ذاكرته، أصبح رفيقاً للأحداث القديمة، يربط وثاقه مع الماضي.

أحيانا أعتقد بأن آلة الزمن حقيقة موجودة عنده وحده، وصدقت بأنها سرّه الذي لم يطّلع عليه غيري، وتجنبت إذاعته في حضرته.

من ورقة قديمة كانت محشورة داخل محفظته أخذ يقرأ: أستطيع أن أقول لكم أنني فكرت في قتل أحدهم - أي أحد - ولكنني لم أجرؤ على القيام بذلك؛ ليس خوفا من الموت، بل لأني لا أريد أن أقضي بقية عمري في سجن حقير، يحكمني نظام يقيد من حريتيوإن كانت حرية على مقياس سجن كبير، كما قد يتراءى لأحده

قاطعته:

-تلك حريتك كما يسيّرها ماضيك

طوى الورقة وأعادها حيث كانت، وأكمل مرتجلاً:

-هذه الفكرة انسلت مني عندما لم تجد عزيمة تضعها موقع التنفيذ.

وكي لا تتحول الأفكار إلى أمور عبثية لا جدوى منها؛ فكرت فيما لو أنني اشتغلت بالتدبر؛ كم شخصاً سوف أكتسب عداوته؟

فأنا حين أفعل ذلك، لا بد بأنني سأجوس عميقاً ، في ملامحهم، أماكنهم طرائق تفكيرهم، كتاباتهم. وحتى لا يذهب ذلك التدبر سدىً يتوجب علي أن أكون صادقاً مع الجميع، على سبيل المثال: ذلك الذي خلق بأنفٍ كبير لماذا هو كبير إلى هذا الحد المرعب؟ لا بد بأن خلف ذلك الحجم عقوبة قد تكون مستترة أو لا تكون، وحينها قد يؤذيه سؤالي وكذلك تحليلي هذا. وقس على ذلك المكان وطرائق التفكير والكتابات.

ضحك بسخرية وقال:

الكتابات.! هل كنت أدور لأصل إلى هذه؟

-إن كان أحدنا لا يجيد الكتابة، عليه ألّا يكتب كي لا أقرأ ، لأنني أفترض أنه لا يفكر، ومن لا يفكر كيف يستطيع الكتابة؟ وأيضا خياله محدود ، ومن لا يمتلك مخيلة باتساع الكون يتوجب عليه ألا ينبري لها .فهو عندما يكتب (يوسّخ) المكان، سوى كان على ورقة أو حتى على جهاز الكمبيوتر . والأدهى من ذلك أنه سرق من وقتي الذي لن يعوضني عنه بالمقابل الذي يستحقه.

أظـن أنـني شـاهدت شـبح ابتـسامة حزينـة علـى وجهـه قبـل أن يتنـدر:
-وإن كــان وقــتي غــير ثمــين إلا أنــه أهــدره بــشكل يــؤذيني.
لم أتعجــب حينمــا أدركــت بــأن الإنــسان الــذي هــو قــضيته، هو ذاته الذي تجاوزه بلا إيماءة، هو من خلّفه وراءه يعيد طلاء جدران ماضيه

سيرة مباحة

صوت موسيقى yanni نوستلجيا) يتسلل ليكسب المكان شيء من الهدوء النفسي، وعلى الشاشة الكبيرة برنامج وثائقي عن التلوث البيئي

-هل سيجتمعون اليوم أيضا ؟

طرح سؤاله دون أن ينتظر إجابة، فقط أومأت برأسي.. أن نعم. كانوا في كل آخر أسبوع يجتمعون على شرف سمعته، هو مادة خصبة للجميع - خاصة - حينما لا يكون هناك ما يتحدثون حوله. يتفقون بدون سابق موعد على استحضار سيرته. الآنسة راغبة - بالمناسبة ليس هذا اسمها، ولكنه التصق بها بعد أن وصفها به صديقي حين لاحظ كثرة رغباتها التي تنحصر في صنف محدد من الرجال مع أنها تعدت حاجز الخمسين من العمر - تتعجب من عدم رغبته في الزواج، بل إصراره على البقاء وحيداً ، وكثيراً ما تطلب منهم عرضه على أخصائي (ذكورة) وتلمّح إلى كونه (عنِّين .(تعارض ذلك السيدة بريرة صاحبة اللسان السليط والتي لا يسلم من (حوقلتها) أحد

..

-لا حول ولا قوة إلا بالله، ليس كذلك يا راغبة لا تقعي في الرجل، تلك ذنوبه الكثيرة السابقة، ويبدو أن عيناً أصابته، هو في حاجة إلى شيخ يقرأ عليه .الكل يطارد دخان سيجارة طارق. طارق الذي

يحتقرهم جميعاً يفلسف الأمور على طريقته .. يزدري آراءهم، يراهم من عِل .يتكرر المشهد

يرفع يده التي يمسك بها سيجارته، يراقص دخانه. ويصمت الجميع بانتظار ما سيتفوه به، يسحب نفساً عميقاً منها ويظللهم بسحابة دخانه ويتحدث بهدوء العارف

-هناك مأزق. والتغير الجذري لم ينبت (كالفقع) فجأة، أعتقد أنه يصارع ماضيه، آ آ .. أظن العلاقة بينه وبين حاضره مشوشة، علينا أن نفهم كيف يفكر.

هكذا هو طارق، فالكل يؤيد ما يقول، مع أنه أكثرهم جهلاً، ولكنه الأعلى مقاما، يكفي أن يحمل شهادة دكتوراة.

لماذا يبعثه الآخرون في اللحظة التي يأوي فيها إلى تربته ؟!

كان يطرح سؤاله بنَفس ضعيف، ويعلم أن لا أحداً سيجيبه.

قبل عشرة أعوام لم يكن يسعل، كانت سيرته كثوبه الأبيض (ناصعة البياض) لم تكن هناك اجتماعات تعقد لأجله، لم يكن هناك وقت مهمل .

ثرثرة (العجائز) كانت تاخذ منحى آخر أكثر بساطة وتفاهة أيضاً. لم يكن يتوهم كما يفعل الآن .

أتذكر نبرته الساخرة حين أخذ يتندر عليهم..

-همومهم الكثيرة تجعلهم يفتشون عن جنازة لا تخصهم يدلقون عليها ترهاتهم، وربما كي يتخلصوا من فضلاتهم.

دعَوْته مرة لزيارة الطبيب، تردي حالته كان يقلقني عليه، أجابني بلا مبالاة:

-مـــاذا ســـيفعل الطبيـــب أكثـــر ممـــا فعلـــه الـــزمن ؟!

الأطباء يحتاجون لمن يعلمهم الحيـاة، وأنـا أعيش كمـا أريـد، ولـست رهن إعياء الآخرين.

-أنت تكابر، وهذا الأمر أخشى أن يكون سبباً في نكسة لن تقوم منها.

-أنـا طبيـب نفسي وأدرك مـا سـتؤول إليـه، فـلا تنـشغل بهـذه الأشـياء الصغيرة.

لم يتغير، ولن يفعل، ثابت أمام كـل محـاولات انتـشاله، كـل العـالم علـى خطـأ وحـده الحـق، الـصواب الـذي سـيعجل بنهايتـه، منظـاره الضيق حجب عنه الضوء!

هـاتفـه أخـرس، ثلاجتـه تتعـرق، حـذاؤه مهـترئ، وملابـسه تتـوزع بـين (طشت) و مسمار علق على جداره غرفته.

تـزوره بعـد عـام تجـد كـل أشيائه كمـا هـي، حتـى هـو علـى سـريره كما هو قبل ذلك العام، الفرق الوحيد أنه لم يعد هنـاك، لقـد غـادر قبل عشرة أعوام.

الظلام وسادة الموتى

سـقَطَت دون حـراك ، لم تكـن منهكـة ولكـن للحريـة ضـريبة.
لا ليست الحرية، بل طبيعتها السادية.

تروق لي حِركيّتها وما تتميز به من صبر وإصرار. صحيح أنها عنيدة بعض الشيء ، ولكن أعتقد أن اللبوات أمثالها يعتبر العناد سمة تدل عليهن.
لم أطلب منها الرقص ولكنها فعلت، وحين سقطت لم أحـرِّك ساكناً.
أخذت استرجع طريقة سقوطها، كما يحدث في الأفلام .. تترنح وتسقط على أحد جنبيها. ما كان يجب عليها أن تسقط بهذا الشكل التقليدي. لذا عليها أن تستفيق وحدها كما يفعلن هن بعد انتهاء المشهد.
مضى وقت طويل ولم تنهض، قمت من مقعدي وصببت لي كأساً آخر وأخذت ارقص بهدوء وأتجول في أنحاء المنزل ثملاً.
حتى هي أخذت أطوف حولها، و كأن بي رغبة للتوحد مع رقصة حول النار.
أتمايل وأغني .. أنثاي، شيطاني الحميم نامي ولو ليوم واحد، دماؤك تعبرني ، تسري ودمي، نامي يا عرابتي.

وددت لو أكملت الطواف ، ولكن النار خمدت. وكأن الضوء

الخافت يسرق من العمر بعضه. لا عتمة في الجنة ولا - حتى - الجحيم .. الظلام وسادة الموتى.

تتملكني رغبة شديدة في ركلها كي نشرع في المشهد الذي يليه . عوضاً عن ذلك انحنيت فوقها ودنوت بشفتي من أذنها وشرعت أتمتم ..

-كم طريقاً عَبرتِ وعُبرتِ وحتى هذه اللحظة.
-أنا فقط من يقبل قدميك ويشعل النار.
-ادخري لآلئك لأول وآخر خلوة لكِ معكِ.
-لا حرية هنا ، فابحثِ عن وطن لا يأد أمثالك من التائهين.
-لا تحلمي كثيراً ما دمتِ عاجزة عن تحقيق أتفه الأشياء.
-أنتِ أنثى تمتلكين كل المقومات، إلا أنكِ نبذتِ كل الفتنة وتركتِها لرجل واحدِ يعلفك المرارة ويسقيكِ قدراً كبيراً من الألم، والقليل من النقود والشهوات المسموح لك بها.
-لا يصلح للحياة أن تظل مسجاة تنتظر أول عابر يفطمها.

صحوت في اليوم التالي، في نفس المكان الذي كانت تضطجع فيه. وجدت رسالة منها تقول فيها "عندما تقرأ هذه الرسالة أكون قد غادرت وطنك، ولن أعود قبل أن تتحقق كل الوصايا. ولأدلِّل لك على ذلك .. لا تغسل وجهك، وتحسس بيدك موضع قدمي المعلّمة على صفحة خدك .. وقبّلها أنّى شئت"

شهقة أحلام

الشارع الذي تطل عليه العمارة التي أسكن إحدى شققها ، يعتبر من الشوارع الحية التي لا تموت صباحا ومساءً، الحركة فيه دؤوب على مدار اليوم، باعة ومتجولون وأولئك المتسكعين الذي يتخذون لهم مكانا على (دكة) أحد المنازل يثرثرون ، يعبثون، وأكثرهم عاطلين العمل، لشح الوظائف وإهمالهم لدراستهم. أظن أن أحلامهم لا تتعدى أقدامهم، كل ما يشغلهم تلك المستديرة، وكيف يصبحو لاعبين مشهورين في أفضل الأندية.

في الخامسة من كل مساءً أنطلق مباشرة إلى النافذة، جارتي الجميلة أحلام تكون هناك تتكئ على نافذتها في ذلك الوقت،ولا بد أنني سأحظى بقرابة نصف ساعة للتلصص عليها وتأمل فتنتها ، وهكذا أخذت أرسم مساراً لحلم يشبه اسمها ، وجنة موعودة معها.

ذات يوم انتبهت على شهقة وربما صرخة مكتومة ، التفت إلى الجهة التي تنظر إليها ، كان زيد ابن جاري أحمد يعبر الشارع، ويبدو أنه داس على بعض قطع الزجاج المتناثرة التي ألقاها أحد المتسكعين، وتسببت في إيذائه، ولأن مصائب قومٍ عند قومٍ فوائد ، فقد طال مكث أحلام على النافذة تراقب زيد وهو يتألم ، والدم يسيل من قدمه، خاصة وأن منظره وهو يعرج كاد يفتت قلبها ،ولسان حالها يشتم أولئك المستهترين الذين يلقون بالقوارير

الفارغـة مـن دون أدنـى مراعـاة أو ضـمير، و"مـن أمِـن العقوبـة أسـاء الأدب"، وأنـا بـدوري أتمعـن في ملامحهـا، فـوق الوقـت المـسموح لـي، كما أفعل كل يوم، وأقطع شوطاً ممتعاً في استدرار الحلم.

بعـد ذلـك اليـوم بأسـبوع جـاءت أخـتي سـناء تـركض وعلـى وجههـا أمـارات الخـوف الحـزن، لتخبرنـي بـأن أحـلام نقلـت إلى الحجـر الصحي، للاشتباه بإصابتها بمـرض (أنفلونزا الخنـازير .(تـداعى إلى ذاكرتـي منظـر لأحـد العـابرين قبـل ثلاثـة أيـام حينمـا ألقـى بمنـديل مستعمل، وكان من سوء الحظ أن جاء سقوطه تحت نافذة أحـلام، ويبدو أن صاحبه هو من تسبب لها في العدوى، وأخـذت أحلل كيفيـة حدوث ذلك..

فذلك المنـديل الـذي سـقط، أصـابته الـشمس ولابـد أن الأرض كانـت رطبة فتشبعت منه التربة، وانبثعت غازات والـتي بـدورها امتزجـت مـع الهواء، وصادف وقوف أحلام على النافذة فاستنشقت ذلك، فأصيبت بالعدوى.

ولأن الأخبـار الـسيئة تـأتي تـترى، فلقـد تنـاهى، إلى مـسمعي بـأن زيـد قـد أصـيب بـشلل في رجلـه اليـسرى، وأردف الـذي أخبرنـي بـذلك..

ويبدو أن هذا جراء إهمال أهله لحالة قدمه منذ دخـول قطعـة الزجـاج فيها.

والمفارقـة في الحـدث أن الـشلل أصـابه بعـد آخـر يـوم رأيـت فيـه أحـلام وهي تشهق.

يضيقُ الفراغ ويتمدد شاسعاً ؛؛

يضيق الفراغ ويتمرد شاسعاً

كثير من الأشياء قلت لها كوني، ولم تكن ، فليست كل الأشياء رهن أمنياتنا.

مديري في العمل يريدني على طريقة .. كن فيكون .. . ولأنه رئيسي يجب علي الإمتثال لأمره بأي شكل كان، فأنا أخشى على حفنة النقود التي تلقي بها على وجهي تلك الشركة التي يرأسها هذا المدير الأخرق. كذلك زوجتي الجميلة يجب أن تكون كل أشيائها ممكنة وحاضرة لحظة تشاء، وكأنها في حالة وحم مستمرة، والغريب أنها لم تجرب الحمل ولو كذبا.

الحقيقة هي كتلة الفراغ التي تسير بشكل دائري ابتداء مني وانتهاء بي مرورا بزوجتي ومديري وصاحب محل (التميس) الذي لم يكبر ولم يتغير منذ عشرين سنة وما تزال كلماته ذاتها تتكرر وابتسامته الودودة لم تتغير حتى ظننت بأن ملامحه تجمدت على تلك الصورة

فكرت في كل الأشياء الجديدة والقديمة واتضح لي أن النهاية واحدة، لا جديد حتى

فيما يستجد منها.

جربت مغازلة أكثر من أنثى غير زوجتي فكانت النتيجة: لا جديد، فقد انتهينا ولم يتغير شيء في حياتي، والفراغ ما يزال يمتد.

تآخيت مع رجال من طبقات متعددة وأفكار مختلفة، منهم الرجل المسكين عرفان المعروف

برجل الأعمال ، حديثه يبتدئ به وينتهي إليه ، فارغ إلا من النقود التي بسببها يبصق
على من يشاء ومتى يريد.!
جاري حامد يتدحرج كلامه كالكرة من ملعب إلى آخر ومن لاعب إلى غيره، منير كاتب لم يبقَ سوى أن يقول أنا الذي أدير الكون بريشة قلمي، فهو المثقف الذي يعرف ابتداء الأشياء ونهاياتها وكيف تسير وإلى أين . أخي صالح أكثر أهل الأرض شكوى من معاندة الحظ ، وكل ما يفعله يعود عليه بسوء أكثر ، الوحيد الذي تديره الأشياء بدلاً من أن يديرها.
في حلم البارحة زارني كهل ابتسامته كضوء مسترسل، قال لي: الإنسان الذي يظل يترقب ويفتش في قلب العتمة عن مجهول، هو ذاته إنسان مجهول لم يتعلم كيف يحيا. يجب عليهم جميعا أن يصبحوا (كائنات لحظوية) تعيش لحظتها وكأنها آخر ما تفعله.
قلتُ لي ..
إدمان الفراغ يجعلك تسيل داخل فوهة متعددة الفراغات وتسقط في الفراغ الأكبر
رددتُ علي ..
إن كان سيتلقفني فراغ أكبر فتلك حظوة ، والجميل في الأمر ألا تبقى راكدا كالماء الآسن.
- ولكن حتمية البقاء في الفراغ ستستحيل عادة، وتصبح الحركة سكوناً.!

- وإن سعيت لبعثرة ذلك السكون هل سأظل جامداً في داخل الحلقة؟

- لن تشعر بشيء ، لأنك ربما ستصبح كائنا هلاميا يتكئ على الحلم في تحقيق انجازاته المتخيلة.!

- أنت هنا تناقض رأيك حول السكون، فالإتكاء على الحلم تذويب لذلك ، وهو ليس إلا حركة ، وربما أكثر من الحركة المشاهَدة والمتوقعة أيضا.!

- بل تريد إسقاط تفاعلك عن الحلم وتحويله إلى كائن حركي قادر كسر الجمود داخلك.

بيني وبيني .. كان مشروع محتدم فضح عراء تلك الذات المشوهة التي لم تقوَ على

الصراخ خارج حدودها

لم يعد هناك منفذ اجتاز من خلاله حالة الغيبوبة الإرادية. وجدتني أغادر المنزل وقدماي تسوقانني إلى منزل صديقي حاتم، وكان قد أحضر مزارعاً ليقتلع شجرته العتيدة التي مر على وجودها أكثر من ثلاثين سنة ، وبات يخشى من حنينها الذي عرّى عروقها ، وكهولتها التي احدودب عليها ظهرها. ضحك عندما رآني ونظر إليها وقال: أخشى أن يستبد بها الحنين وتحسبني زوجها فتباغتني بضمة شوق تأتي علي وعليها، والأدهى لو صادف حنينها مرور غريب لحظة توهّمها؛ لذا لا مفر من اقتلاعها قبل أن تودي بنا. ضحكنا معاً ، وعاودتني الهواجس لحظتها .. وفكرت لو أن هذه الشجرة حققت كلام صديقي - خاصة وأنها تجتر عاداتها منذ سنين ، ولابد أن

تسقط يوماً منهكة، فلا جديد تفعله ، ولكني تمنيت أن لو حدث ذلك قبل أن يفكر حاتم بقتلها ، وأن يأتي سقوطها فوقي أنا أو أحد الذي ادمنوا الفراغ واستسلموا لنوبات البؤس والإحباط .!

عبأت سلال من المباهج للغد الذي سيأتي كما لم أحلم له من قبل

يجب علي في الغد حصد بذور العمر الماضي، وأقطفها جمْعاً..

تحوي البؤس القادم

والنهاية الشقية

والأرق المتكدس بالأوهام

وكذلك حبيبات من جنون العظماء أفرِّقها ذات اليمين وذات الشمال

كلما صافحتني

سخرية أحدهم.

غداً .. سوف أشرع للحيرة أكبر قدر من النوافذ ، علّ أن يقتلني بعض أزيزها.

أعلم أني في الغد.. لا أملك من أمر إرادتي شيئا.!

فتَبّاً لي ولهم أيضاً .!!

طي الغد

الأعلى ليس هو المكان المناسب دائما.

صـرخ بهـا وألقـى بجـسده مـن الدورالـسابع وسـط ذهـول رفاقـه.

مهند كان هو الوحيد الذي يعلم بـأن ذلـك سيحدث في يوم مـا ، فهـو يعرف صديقه جيدأ ، ويعلم بأن السماء لا تحتفي بالأوغاد كل حين.

قبـل سـاعة الـسقوط الأخـير بيـوم كـان لا يفتـأ يـشتم الحـظ ويلعـن الطبقيـة ويـزدري القبيلـة ، وأكثـر منـذلك كـان يـشك في عـدل السماء :

- الرب الذي أوجدنا ألم يجد غيري من بينكم ليصب عليه سخطه فيضعه في هذه المنزلة الحقيرة.

- دعـك مـن هـذا . الطريـق الـتي نـسلكها تتكـرركمفـردات طفـل يتعلم الكلام، وأحيانا كالبيت الموقوف بلا وجه حق .. ذلـك الـذي لا يدر عليك مالا ، أو كالأرض البور التي لا أنـت تخلصت منها ولا هـي أطعمتك.

كان مهند يعلم بأن هذه الأفكـار الـتي تخاتلـه ستـأتي عليـه، و علـى أقل تقدير ستذهب بعقله.

فجـوة شاسـعة بينـه وبـين واقعـه. الأحـلام البعيـدة المـدى .. بـراكين تصيب حممها أقرب الناس إليه. لايتـوانى عـن توزيـع الـشتائم بـدءاً مـن أطفالــه الــصغار متجــاوزاً الــوطن وحتــى أبــواب الــسماء.

وجده يوماً جالساً أمام باب بيتهم يعبث بالتراب. عندما رآه مقبلا عليه بادره بالقول:

- ألسنا كلنا من تراب، ومع ذلك التِّبر يعلن براءته منا، بل هناك من أصبح إلهاً والتعريض به طريق البسطاء إلى الجحيم.

- لن تغير العالم يا صديقي والناس مراتب. ربك يهب من يشاء ويختبر صبر من شاء.

- والتقوى التي هي مقياس التفرقة يامهند.

- تلك القلوب وليست السحنات.

- وددت لو أنني (جرّافة) لأساوي التراب بالتراب.

- أما أنا فأود لو أنك إنسان وتتناسى ذلك الحقد والغل الذي يعتمل فيك حتى يكاد أن يفتك بك.

- تعني أن أستسلم للعراء وأنساق مع البسطاء تحملنا الريح حيثما شاءت ونظل نسبح ونشكربحمد المنّان.

- أعني ألّا تتأسى لماضٍ وتعجّل بالسير لتدرك حاضرك وتنشئ مستقبلك.

- أعدك بأنني سأطوي المسافة وأدرك ما بعد المستقبل.

وطن

هل كنت سأختار تغيير قدري منذ البدايات ، قبل ثلاثين سنة ، لو أني علمتُ أنه سيكتب عليهم الذل والمسكنة ، أو أني قمت بإجهاضهم قبل أن يتكالب عليهم أُناس هذا الزمان وأنظمته العتيدة ، الصادمة (البيروقراطية) كما يطلقون عليها - ربما - وحتى قيام الساعة!.

وكأي أم تمنيت أن أراهم يكبرون أمامي ويصنعون حاضرهم ويصعدون أعلى المراتب .

ظننت أن كوني مواطنة سعودية ، سيكفل لي حياة كريمة و أبناء يسرني النظر إلى تاريخهم المشرق بعد كدٍّ وجهد وتعب يليق بما يعملون من أجله. ولكن لم أكن أعلم أن جنسية زوجي الغير سعودي سوف تكون القشة التي قصمت ظهر أحلامهم.

بالأمس جاءني عادل - الذي لم يكن عادلا أبدا - و صرخ بي: انظري لهذه (الملعونة) جارتنا أم عبدالرحمن الغير مسلمة أو كما يسمونها (كتابية).. لم تكمل سنتي زواج من رجل سعودي ، إلا وحصلت هي وأبناءها على الجنسية ، و نحن، ثلاثون سنة ، ومازلنا أبناء غير شرعيين لوطن يعاملنا على أن أمنا قاصر و أبونا وافد ، !

عندما يعق الوطن أبناءه يجب عليهم أن يبادلوه العقوق وينغّصوا عيشه، وأنت امرأة يا أمي في بلد عربي، لا حول لكِ ولا قوة. الوطن لا يعترف بآدميتك و أحقية أبنائك ، لأنك امرأة ، لأنك امرأة!
كررها أكثر من مرة : لأنك امرأة!.
ثلاثون سنة يا أمي و أنت ترفعين لهذا وذاك التماساً ، ترجينهم أن يرحموا أبناءك ، تكيلين المديح لمقام هذا ، وتسبغين الحمد لسيادة ذلك الآخر ، والختام: أبناء لا يعرفون ما هو مصيرهم ، فقط أبناء لأم سعودية وأب من جنسية (لاوندية) أخذ يضحك بشكل هيستيري، عذراً يا أمي المصون ، تزوج منك أبي في زمن لم يكن يعرف التفرقة ولا يؤمن بالأوراق ، التي أصبحت كل شيء ، تقيٌّ و زاهد ، إذن قولي له ادعُ ربك بأن يمنح أبناءك جنسية وطن ولدوا فيه وترعرعوا بين أحضانه ثلاثين عاما ، ومازال أبناء بناتِه غير شرعيين مع أن أمهم سعودية و أبوها سعودي.! النظام لا يسمح!.
نعم النظام لا يسمح عندما يتعلق الأمر بامرأة ، ويرحّب النظام عندما يكون المعني رجلا !.
أتعلمين يا أمي.. هناك في المدن المقدسة لافتات كُتب عليها: لغير المسلمين ، أقترح أن يضيفوا لافتات أخرى: لغير السعوديين (ضحك بسخرية وضعت يدي على فمه وقلت له بانكسار: اصمت يا عاق.
أكمل دون أن يعبأ..
أي نظام هذا الذي يلقي بأبنائه خارج أسوار الإنسانية، حتى الأصدقاء يلمزوننا بتخلفنا كوننا غير سعوديين، ورجل الأمن يعاملنا باحتقار لو صادف و اسوقفتني نقطة تفتيش .. فقط لأني

أحمـل الـدفتر الأخـضر ؛ يجيـز لـه ذلـك أن يتحـدث معـي بتعـالٍ !.
مـسكين.. لا يعلـم أن أمـي سـعودية (قهقـه بـشكل مـستفز .
ثلاثـــون عامـــا و أم ســـعودية ، والنظـــام لا يـــسمح!.
اذهبي قولي لهم أن لكِ حقوقاً واطلبيهم العدل ، صدقيني سيسخرون منكِ ويماطلونك، فأنتِ امرأة بمعنى قاصر لا حقوق لكِ ، الصمت أوجب الحقوق عليكِ!.
كفى كفى ، أصمت عليك اللعنة
لأول مرة أصرخ عليه و أشمته على هذا الوجه : أخرج يا ملعون ، أنت ابن عاق، ليتني لم ألدك ، ليتني ألقيت بك في أحدى المجاري ، قبل أن تتطاول عليّ وعلى وطني بهذا السوء الذي بصقه فوك .. ليتني . .
قاطعني : وطنك! أنتِ قلتِها : وطنك؟
قولي لوطنك - أنتِ- أن يعترف أولا بإنسانيتك وحقوقك وأبنائك المشرّدين، ثم
ارفعي رأسك وقولي وطني..! هأ ، قالت وطني !.
غني يا أمي واصدحي بـ:
وطني الحبيب وهل أحب سواه
وارقصي معي
قومي
أخذ يشدني من يدي .. هيّا قومي
لقد اختلط عقل ابني أخذ يبكي ، ويلثم قدمي، ويشهق بـ:
سامحيني يا أمي أرجوك قام مسرعاً وغادر المنزل ، وأنا أصرخ أرجوه أن يعود : عادل .. عادل عاااا

أحلام مسمومة

الأحلام طويلة المدى كأنثى الخمسين العانس تقيم بين عطشين كان يا ما كان. لا. لم يكن بعد.

من الممكن أن يكون. لا. ليس قريباً .

أنقذني صوت حمزة

- لقد سقط ياسر، قبضوا عليه قبل أن يتصرف في (قطعة الحشيش)

التي كان يحملها كي يوصلها للمشتري.

قالها وكأنه يسوق خبراً عادياً، فيما كنتُ أقوم بكسر حدة الشراب بخلطه بمشروب البايسون.

ياسر كان الوسيط الذي يأتي لنا بالمخدر . ذهب ياسر ، وسنعثر على مائة ياسر آخر. قبله كان سعيد ، ذهب هو الآخر، وحظينا بسعادتنا الموهومة بعده. ولكن المحزن في الأمر أن ياسر شاب مجتهد ولديه وظيفة محترمة، ومؤدب، من ذلك النوع الذي يشيع جو من المرح حيثما حل.

- سلب حرية أحدهم يشبه الموت المفاجئ، ولو أن الأمر سيجفف منابع هذه الممنوعات لعذرتهم.

أخذت أفكر بصوت عالٍ

قاطعني حمزة

- في هذه المزبلة أعني هذا الحي الموبوء لن تجد بيتاً إلا وأحد سكانه يسكر أو يحشش ، ولو عمل أحدهم إحصائية

للأحياء التي تشبه هذا الحي المهمل ستجد بأن أكثر من نصف المجتمع يتعاطون، لا يوجد حل للقضاء على ذلك. تلك دورة الحياة، ولادة ورحيل.

- بل يوجد حل، فأنت لا تستطيع أن تقضي على المخدرات والمسكرات بالسجن، أنت تقضي على الإنسان فقط.

- اتحفنا يا سيدة فكرة (قالها بصوت ساخر وبضحكة مجلجلة) يبدو أنك (ارتفعت) .

- فكرت لو أنهم بدلا من أن تمتلئ السجون بالمتعاطين أمثال ياسر وتتدمر حياتهم الأسرية والوظيفية، لماذا لا يعملون على الاستفادة من هؤلاء في أعمال تطوعية لخدمة المجتمع. ووضعهم تحت المراقبة.

- بدأت حصة الهذيان، ماذا تعني؟ أفصح.

- ياسر كمثال مدرس، لماذا لا يجعلون ياسر يقوم بتدريس أبناء الأسر الفقيرة في المساء وتثقيفهم وتحسين مستواهم، وقس على ذلك، كلٌ حسب وظيفته، وقدراته، الدكتور، المهندس..

- والعاطل منهم؟ يتطوع في تعليمهم التقطير أو اللف (أخذ يضحك ويسخر)

- العاطل يقوم بتنظيف منطقة من الحي وزرع بعض الأشجار والورود لتحسين المنظر وجعله قابل للسكن والحياة الصحية.

هل تستطيع أن تسير في الشارع دون أن تبقي نظرك على الأرض، خشية أن تغوص قدمك في وحل من المجاري، أو تطأ على بقايا الطعام الملقاة، أو حتى حصاة تجعل أصبعك متورماً لعدة أيام؟

- هذا منظور غربي لا يمكن تطبيقه هنا، يبدو أنك متأثر بهولندا.

- أليس هذا المنظور أفضل من قتل الحياة وأن يعود ياسر بعد عدة سنوات عاطل و بأسرة مفككة وشخص منبوذ في المجتمع؟ الخسارة التي يجنيها المجتمع أكثر فداحة من الجرم الذي وقع فيه.

- قل ذلك وستجد تهمتك جاهزة.

دعك من خرافاتك هذه وفكر فيمن سيكون وسيطنا الجديد.

نديمي حمزة لم يقتنع بذلك، وهو الأقرب، يبدو أن هذا من تأثير الكأس والدخان الأزرق.

الأحلام المسمومة لا تنشئ وطناً نموذجيا ، إما أن تنبت حنظلاً أو تحبس أنفاسك داخل زنزانة رطبة.

رجل معتل به

في ذلك البيت الكبير لا تسمع سوى قرع نعالهم، ودمدمة صديقي المزعجة في أحايين كثيرة .

لم يكن مقرفا بهذا الشكل الممجوج يخايل إليك أن المنكفئ أمامك توأمه العبيط ، النسخة الجسدية المكررة منه
بذات النحول وعيناه في ذبولهما تتضحان بالذهول
لم يتعلم كيف يرتق قميص صبره ، كتب على نفسه الصوم واستبسل في إنهاك جسده. لِحِممه اللاهبة أسلم عصاه وتوكأ على جمرة عابثة، يردد

كن أنت .. أنت

كن أنت .. أنت

كن أنت .. أنت

صداها كصداع ناشز في وقت ظهيرة حارقة، خلفها كانت يده الريح وأنفاسه الصمت الطويل يشق المدى كسيجارة مغتربة أقسَم - لي - أنه كان هو .. هو، فأضحى الخرقة البالية التي تمسح غبار جداره الطري .

صدّق بالوهم ، فأردته الحقيقة الباغية آمن بالإنسان ؛ فأسكنه جدارين وبصقة وفحيح الحناجر المتصدعة .

الشك سيده الأمين ، وأنثاه الحلم المنسي الذي لن يعبر فرسخاً ليصب أمامه ، مهما استوى الطريق .ينادي الكأس المترع بالخيبة ألا

يصحو،والدخان المتطاير ألا يغيب طويلا ؛يمكر به الأول عند آخر انعطافة خدر، ويربكه غياب الآخر قبيل منتصف الشرود.

يصيح..

الأرض باردة ، فاتّسعي يا أنّاتي ، تكسَّرِ - الآن - يا عودُ. الضيق هناك ، ليس بأكثر رحابة من هذا الخُرج الذي تضطجع فيه، والوحشة هذه ليست بأمتع من تلك التي سيتعفن فيها وريدك!.

ساح جمود وجهه واكتسى بسرور مفاجئ و أرسل ابتسامة بلهاء و غرّد بصوته الضعيف المبحوح

أنا الذي عبّد الطرقات و جمع الشتيتين، أنا من ذاع صيته لحظة كسّرتُ أقفالَ الخزائن بكَفِّ السيل، أنا الذي دكّ عنق القهر وأطعم الجوع، أنا من نشر رداء فكره ونبذ الجهل أسفل سبع.

قفز كملدوغٍ، وجحظت عيناه وأخذ يصرخ..

أنا .. أنا .. أنا هذه الزوايا، أخد يدور في مكانه الواقف فيه ويشير بيده المريضة حتى بان الألم على صفحة وجهه ، أنا هذا الجدار الذي سينقض عليكم ذات يوم أيها الخونة ،أنا السقف المنير، سأقبركم تحتي جميعاً !..

ترنح وسقط على وجهه و أخذ دمه يسيل حتى أوقفَتْ قدماي جريانه. تحامل على نفسه وأسند ظهره للجدار وحاول أن يبتسم ، بعد أن مسح أنفه بظاهر كفه ، ونام طويلا.

جلست بجواره أتأمل طفل ملامحه لبرهة ، و إذا بصوت يتردد في المكان ..

نم أيهـا الـشيء النحيـل ، كـأسـك يتحـرق للـثم روحـك ، وأربابـك شاخصون ، كثيرٌ أنتَ وحدك ، ضئيلٌ ما هم ، أنثاك تسبّح بحمدك وتـذكرك كـثيرا ، و أبنـاؤك يتمـسحون بـذرات جـسدك الطـاهر ، والناس جميعاً يهتفون بك. أيها الشـيء المنسي .. مازلت مذكورا

واستثمروا البائس الفقير،،

حتى الليل في آخره ؛ أجواؤه ساخنة وكأن الشمس أودعته بعض لفحها قبل أن تأوي إلى جهة أخرى ، ومع ذلك كان حماس نديم وهو يملي على صابر وصاياه أشد حرارة من تلك الأجواء الصيفية في ذلك المقهى المنزوي بعيدا عن العمران(بكرويتاته ❖) الأثرية وغباره الكثيف . أراد نديم أن يخرج قداحته من جيبه المشقوق فسقطت منه فانحنى صابر والتقطها وقام بإشعال نارها على فتحة (ليّ شيشة الباعشن) التي يتعاطاها نديم ذات الشكل المخروطي بلونها النحاسي الذي منذ أن خُلقت لتزين المقاهي العربية وهي تقشعر من الصدأ ، هل كان نديم بفعلته تلك يطرد الصدأ أم كانت ثقافته توحي إليه بأن الحرارة تستطيع قتل البكتيريا !

يسأل صابر:

كيف توجد البكتيريا ؟

يجيل – صابر – ببصره في أنحاء المقهى ، يتفرس وجوه الحاضرين ، ويعود ممسكا بالإجابة :

لابد أن تلك الأفواه لها دور في ذلك !

يحضر القهوجي إبريق الشاي الأصفر ..المرقع في ذلك المقهى المسرف في الترقيع ، كل شيء فيه مرقع ؛ حصير الكرويتات .. مرقع ، وجدرانه مرقعة ، وثياب مرتاديه مرقعة ، بل حتى وجوههم

لم تخلُ من الترقيع ،

وعلى ذلك كانت أفكار صابر شبه مرقعة ، يبحث عمن يواري شقوقها ، وكان نديم أمله الوحيد !

كانت تبدو على صابر أمارات الاهتمام وهو يصغي إلى رفيقه الذي سينتشله من عالم المعدمين الذين لم يعد يعبأ بهم غير أشباههم ، وحتى هؤلاء باتوا يتنصلون من شبهة أمثال صابر !

قرقرت (شيشة) نديم بعد أن أخذ عدة أنفاس متسارعة ، وسرح بنظره بعيدا ، كمن يفتش عن مفقود في قلب الظلام الممتد أمامهم ، وتكلم بلغة الواثق الموجِّه . .

- يا صابر ، لست الوحيد الذي يقطن الخرائب ، فلا تتأسى لضيق الحال ،

فلقد أخبرني العرّافُ بأن ملامحك المضيئة قادرة على جعل الخير يهمي عليك من كل ذات رداء حريري وصاحب مجد ورقي موروث دون عناء ، ولكنك في حاجة إلى إحداث قليل من التغيير في الداخل والخارج .

يهمس صابر وقد راق له منطق صديقه المتأمل من وراء حسنه الكثير :

- ما الذي يجدر بي عمله ؟ أنقذني من هذا الفقر و لك نصف ما أرث !

صابر - هذا - رجل يرى بأنه لم يأخذ حقه من الدنيا ، وأن الحظ وقلة اليد نأوا به وأسلموه للردى ، يعتقد أنه يمتلك عقلية تستحق أن يكون صاحبها في مصافّ اللامعين الذين تبوؤوا المجد والشهرة .

يرى أن الظروف لو تهيأت له لفارق جلدَه الخشن ، ولأثبت جدارته بكل ما يحلم بالوصول إليه ، ولكن لا يعرف من أين تؤكل الكتف ، لذا .. اتكل على نديم ، علّ الوساوس تساعده في الخروج من قمقمه !

مع أنه يعلم بأن نديم كالحرباء ، ولا يؤمَنُ له جانب ، فهو شخص وصولي ومنافق ثرثار ، وأكثر من ذلك فهو من المتعالمين الذين يتحدثون في كل شيء ، و أي شيء .!

دنَتْ شياطين رفيقه وأرسلت أنفاسها لتصب في خلَدِهِ ، قائلة :

النبلاء – يا صديقي – ما كان نبلهم عفة ؛ بل قدرة على التلون و استثمار الفرص و تكيفهم مع الظروف المحيطة بهم وجعلها تصب في مرافئ أطماعهم ، ولا أخال أنه يعجزك أن تكون واحدا منهم في زمن يؤمن بالخرافة والأساطير القادرة على تيسير أمرك بقليل حنكة ودهاء !

يسأله صابر :

- وكيف ذلك يا صديقي ؟

يمد نديم (لي الشيشة) لصابر ، ويكمل :

- سأكيل لك المديح أمامهم ، وأشعل الفتيل ، وألوي عنق القادر على تغريرهم ممن نرجو حظوتهم ، حينها عليك أن تشمخ عاليا وتتحدث بتؤدة وتُعمِل التفكير وتظهر قليلا من الحكمة ، لن يكلفك ذلك سوى بعض حروف ونظرات واثق و ابتسامة لا تتكرر كثيراً !

الناس أكثر جهلا من السابق ، و الأغبياء منهم ، لا تحتاج لمعرفتهم سوى أن تدير رأسك في أكثر من جهة ، بعد أن تختبر ذلك بإثارتك لشأن ثقافي / اجتماعي ، وحتى دينيّ !

أعني أنك قادر على استغفالهم بأكثر من جملة ، وادعاء علم وثقافة ،وإذا كانوا حميرا فما عليك سوى ركوبهم ، ولكن يجب عليك أن تصدمهم بمخالفتك وإظهار الفهم ، وتلجَ إليهم من حيث لا يعلمون .. ويعلمون !

عليك أن تُعلي شأن الوضيع ، وتحقّر رأي عالمهم فيما شذ من رؤاه ، واحذر أن تخالف ما دون الكبيرة المؤرقة جدلاً ، فالناس الأغبياء لا يجب أن تأتيهم في مسلّماتهم الجاهلين بكنهها . عليك معرفة ذلك !

ابدأ بأدعيائهم ممن هم دونك من المشابهين لك – ذكورا وإناثا – ، وإن بدأتَ بأنثاهم كان ذلك أكثر حظوة !

وضيعٌ مثلك ، إما أن يعتلي على أكتاف الآخرين ، أو يغوص أسفل ضِعَتِه ، حقيرا ذليلا !

فـ هلّا فعلت ؟

وإلا ؛ فكما أنت .. وأدنى !

تومض عينا صابر .. وبحماس يلتقط القداحة فتسقط القداحة على الأرض .. يصرخ بـ علوّ :

- هاتِها يا نديم ...

يبستم نديم بسخرية :

- لا .. ليس الآن يا صديقي !

فجزاؤه الموت خنقاً

سأخبركم لماذا فعلت ذلك ، أرجوكم لا تحكموا قبل أن تكملوا قراءة كل حرف ، والغوص أبعد من ظاهره ، كيلا تظلموا أنفسكم ، أما أنا لا أخشى من ظلمكم لي ، والذي أراه ماثلا منذ الوهلة الأولى لاعترافاتي ومع ذلك عذرتكم ، وأكملت الحديث دون أن أنهر أحدكم ، أو أبرر له قيامي بتلك الأفعال، أخشى عليكم من مغبة تلبسكم بحرفي و وقوعكم رهن جريمة قد ترتكبونها في حق أنفسكم ، لذلك أشفقت عليكم وأكملت.

منذ زمن وأنا أفكر كيف سأخلق البداية ، و إلى أين ستمضي بي؟

هل سيشفع لي حسن نيتي أمامكم

توقف . .توقف ، لا تحدّق بي هكذا ؟.

انتظر سأكمل سأك ..

لحظة فقط أشعل هذه السيجارة و أخبركم أو. .و. .و..ففف

أعلم أني أطلت عليكم

ولكنكم انتظرتم أشياء تافهة وشخوصا عاديين زمنا طويلا ألا يمكنكم أن تنتظروا حتى أشعل سيجارة!!..

هكذا هو الإنسان ، عجول حينما لا يتعلق الأمر به شخصيا لا يهم ، سأتحمل أنانيتكم ، وأعلم أنكم ستندمون على تأففكم من الانتظار، مجرد شخص أراد أن يخبركم بسبب إقدامه على القيام بأفعاله تلك

آه . . آه . . ، أشعر بتوعّك بسيط ، اعتدت عليه ، سأستلقي قليلا.
المرض في بداياته يأتي مخيف ومربك ، ولكن بعد أن يتكرر أكثر من مرة يصبح أمر اعتياديا ، يحتاج إلى أن نتفهم سبب غضبه ، ونعمل على ترويضه ، لذا لا أريدكم أن تصابوا بذعر .
أشعر بتحسن الآن ، لن أخفي عنكم شيئا.
حينما رأيته ، أصبت بذعر شديد ، كاد أن يغمى علي ، شعرت بلوثة جنون تكاد تصيبني ، و بتعرق شديد يبللني من أعلاي لأخمصي ، قبل شهرين واريته الثرى ، وها هو الآن أمامي وكأنه لم يرحل ! كيف ذلك ؟ هل يعقل لميت أن يبعث مرة أخرى ؟ لا لا لا.
أطبقت على رقبته بكلتا يدي ، قبل أن يتفوه بكلمة ، و صرخت به : مت. . مت ، عد إلى حفرتك أيها البائس ، و أخذت أنشج بحرقة ، ويداي تعتصر رقبته بقوة ، ولكن ارتسامة الحزن في عينيه ، كادت تقتلني بدلا منه . بكل تذللي همست له ، أرجوك أن تسامحني ، الحاجة أقوى من اعتبارات الصداقة العظيمة التي كانت تجمعنا ، و أخذت أضغط بكل قواي على رقبته ، أردفت . . أعلم أني قتلتك مرتين ، و أهِمّ بخيانة ثالثة الآن ، ولكن أنت تعلم ما كنت لأقدم على ذلك لولا أن جميع الطرق سدت في وجهي ، ولا مناص من الغدر بك ، لأحيى . كان يجب أن تموت لأعيش ، لو عمرا قصيرا خارج أسوار الفاقة والديون المتراكمة على كاهلي ، كلنا منهوبون في هذه البقعة ، إذا لم نصعد على أكتاف بعضنا ونضحي بأقرب الناس إلينا لا يمكن لنا أن نحيى حياة كريمة ، أرجوك دع عنك ملامتي أرجوك ، ، فكل عبارات العزاء وعبارات

الصبر ، لن تحيل الجوع شبعا والخوف أمنا ، أعلم أنك أنت الوحيد الذي وقف بجواري عندما تفرق الجمع عني.

عندما مرض والدي كنت أول من عرض خدماته ، وتكفل بمصاريف علاجه التي كنتَ في أمَسِّ الحاجة إليها ، ومع ذلك تنازلتَ عنها طواعية لأجل رجل عاجز ، لم تكن ترجو من وراء ذلك أكثر من وفاء لعِشرة جمعت بيننا ، وحتى عندما أخبرتك بأنهم طردوني من عملي بسبب الغياب ، كنت أول من أمدني بالمال ، و أكثر من ذلك سعيت لي في عملٍ آخر . وبعد أن قتلتك قهرا بمحاولتي الدنيئة في التقرب من زوجتك ، تلك المرأة العفيفة ، وأنا في حالة سكر شديد ، عندما اغتنمت لحظة خروجك من منزلك و طرقت الباب عليها أسألها عنك و ألّح لها بوقاحة عن السبب الأساسي لحضوري و أخبرها برغبتي بها ، وجدتك تغفر لي ، بعد أن عنفتني بكلمات ، جعلَتْني بدلا أن أرعوي ، أتميّز غيظا ، و أقع في رجولتك شتما وتقريعا.

و آخرها جعلتك تكفلني في مبلغ كبير ، وحنثت بك ، وجرجرتك في المحاكم ، و بعد كل ذلك اتهمتك بالسذاجة والغباء ، وأن أمثالك خلقوا ليُفعل بهم مثل الذي فعلتُ معك !.

أنت تعلم أن كل شيء أصبح مرهونا ، بالنقود و تعلم أن أسعار السلع أصبحت مخيفة جدا ، وحتى التراب كذلك – خاصة لأمثالي – ناهيك عن كوني أب لستة ملاعين أخشى عليهم تقلبات الزمن، فلو لم أكن كما رأيتني لما استطعت أن أعيلهم.

عندنا أخبروني بموتك وأنت عائد من جلستك الأخيرة في المحكمة

والـتي ألزمـوك فيهـا بالـدفع أو الـسجن ؛ ترحمـت عليـك، و أكملـت حيـاتي دون حتـى أن أقـوم بواجـب العـزاء مـع أهلـك فيـك.، بـل شـربت نخب رحيلك وحدي و أنـا أضـحك مـن حـادث بسيط أودى بحياتـك !. غـير ذلـك يكفـي أنـني حرثـت لـك طريقـا إلى الجنـة شـبه مـضمون ، فأنـت مِـتَّ مظلومـا وتحمـل مـن المكافـآت مـا قـد يجعلـك تلـج إليهـا دون حساب.

عُراة ، يكنسهم القَدر

استيقظت متأخرا على غير العادة ، وهذا نذير شؤم يعني بأن يومي سيستكمل ساعاته المتبقية وحالة القرف في أعلى وتيرة لها !أن أغذي داخلي بهذا الوهم المقلق يعني أني سأبقى رهين مزاج سيء جدا الأجواء في الخارج تشاكس مزاجيتي المضطربة ، وتسعى لتطويعها ، وعنادي يكابر بمعصيته ، ويرفض الانصياع لها لن أجعل هذا اليوم يتغلب علي بحبوره وصفاء روحه ،ويحيلني إلى كرة صوف يعبث بها كيفما شاء!

دام أني نذرت نفسي للضيق ؛ فإني عازم على برِّ ذلك هذا اليوم ! أنا من يطوّع الوقت لا هو ، ويحتم عليه أن يأتِ كما أردت له لا كما ينوي ، أولئك الإمعات هم من يقعون تحت سلطة الآخرين ؛ يُسيّرون كيفما شاء غيرهم ، وأنا أجاهد نفسي كي لا يسيرني – حتى القدر – إلا أن كان أزمع لي الموت ؛ فهذا شأن لا قبل لي به ؛ اللعنة ! لماذا يكثرون هذه الأضواء التي تظهر من المساوئ أكثر مما تخفيه العتمة التي تمنيت أن تعم جميع ما حولي ودوني ! ليت الزمن يعود إلى عصور الفوانيس حيث تكثر الأقمار كل مساء وخلف كل قمر شيطان رفيق لا يضمر لؤماً أو نذالة وخسة!

الآلام تعتصر جسدي وأشعر بالقطران ينهش عروقي ، ولكن سأغلبه بإشعال سيجارة أخرى على الريق كما فعلت مع الأولى التي تواطأت مع القدر الذي يخبئ لي نهاية مأساوية ؛ فها هي تهيّج القرحة علي ، وأرجو أن تفتك السيجارة الأخرى بها حتى لا تكرر

عبثها معي ، الألم يكاد يفتك بي ومع ذلك سأقاوم وأسكب عليه قنينة عَرَقٍ يتآكل معها بقاياه الأخيرة ، أشك أنه كفيل بسد رمق وحشيته التي تنهش أمعائي!

لو أنني – فقط – أحمل أسفاري وحدي دون أن يقتحم عزلتي قريب يعتقد أن الدم الذي يجمعنا يعطيه الحق في فرض وصايته ، أو غريب يظن أن علم الاجتماع أوكل إليه مهمة التدخل بنية التكافل والإخاء الإنساني ! لو أني أغيب قليلا في رشفة هذا السم الملعون الذي يخدر عقلي وروحي ويشعرني بأني أسكن ملكوتا غير الذي يرتجونه أولئك الحمقى !

أن تحقق لهم كل ما يرجونه منك يعني أنك قاصر ومسلوب الإرادة ، وكأنك تعيش من أجلهم وكأن عمرك هبة جاد بها أحدهم عليك و يجدر بك أن تتصرف كما يريد أن يراك هو لا كما تشتهي وتريد أنت ، هكذا كانت الخمرة توسوس لي تلك الأثناء ويبدو أني استعذبت وساوسها الحنونة التي عرّت انفعالاتي

أحسن شي

مات أسعد . الطيبون يرحلون مبكراً وجداً أيضاً .تكتشف بأن الأمن أحد حكايات السراب، وفي لحظة يتحول أحدهم من كائن حاضر إلى مطرقة تدك ذاكرتك وتجد بأنه استحال فعلً ماضٍ موجع ولن يعود أبداً ولا أحد سيقنعك بأن الخروج النهائي ليس إلا قدر محتوم وأن ذريعة الأسباب وهمٌ مهذب يا لسواد قلبك المتعب يا أسعد لم يفقد لؤمه، وسبق كل الخطط التي وضعتها لأجله .ماتزال ضحكتك الودودة تلكز مآقيَّ قبل أن يبتلعني باب دارك المنهك، الذي قلت بأنه لو قدر له أن يتحدث لاستجداك عتقهُ رحمةً ببؤسه الذي استعار أخاديده من ملامحك. عندما ألححت عليك بالذهاب إلى المستشفى علّ أن تجد حلاً لضعفه رددت: (أنا لاقي آكل عشان أروح مستشفى (أنا سأتكفل بتوصيلك إليه وإعادتكودفع مصاريف دوائك إن كتب لك الطبيب شيئا لا تدعنا نضحك على بعضنا البعض فعلى الأقل أنا رجل وحيد بقلب لن يصمد كثيراً ولا رغبة لدي بخوض رهان مع قلب آخر قد يقترحه ذلك الطبيب، عليك أن تهتم بأفواه (التنانين) التي تستعمر منزلك بدعوى الرعاية والمسئولية وأنت مجرد عامل بسيط على وظيفة تافهة تسمى ناسخ آلة، مع أنها بدون آلة ههه فدع قلبي وشأنه فذلك: أحسن شي .تلك جملته التي لا تفارقه، فكل الأشياء عنده :أحسن شي، حتى أسوأها.

نهـــضت لأعمـــل شـــاياً لنـــا ، ابتـــدرني بـــضحكة ســـاخرة:

-لا يوجد ماء

تعجبـــت وصـــببت جـــام غـــضبي علـــى مـــصلحة الميـــاه فقـاطعني ضـاحكا - :لا ذنـب لهـم فلقـد أصـابتني حمـى بـالأمس ومـــن شـــدتها أخـــذت أزحـــف مـــن الغرفـــة إلى الحمـــام في نصف ساعة ربما ، فقلبي المدلل كان لا يتنازل عن أخذ حصته من الراحة كل ثانية .وبما أني لا أمتلك حوضاً (بانيو(،فقد كدت أسجد شكرا لله على ذلك ولكن وضع الزحف أعتقد أنه عبّر بشكل جيد ، كان كل ما احتاجه هو أن أفتح الصنبور وهذا ما فعلتــه ، وأخــذ المــاء يتقــاطر علــى رأســي ورقــبتي فقــط فوضـعية الامتـداد لم تكـن تـسمح بالوصـول لأبعـد مـن ذلـك ونمت أو أغمي علي، لا أدري، الذي أعرفه أني صحوت ونهر عرق بارد يسيل مني وأنا منكب على وجهي تحت (الدش) الصامت ولك أن تخمن مابقي .قررت أن أحضر عدة جوالين ماء بعد أن أملأها من بيتي، ويبدو أني لم أتنبه إلى أن انقطاع الماء كان دلالة لأمر ربما يكون: (أحسن شي)، في وضع شخص مثل اسعد مع أنه أورثني حزنا لن ينتهي .استدرجني حنقي إلى مساحات خيالية حمقـــاء فكـــرت فيمـــا لـــو أنـــني كنـــت في وضـــع أســـعد لبحثت عن حل شرير لهذه الحياة، فعلى سبيل المثال أصنع مدخلاً جيـــــداً كأنـــــه أطـــــرح الـــــسؤال التـــــالي:

-لمـاذا أعـيش؟ وهـل لـو اسـتأذنني المـوت في القـدوم سـأرحب بـه؟

بل يجب أن أرغمه على المجيئ بالصورة التي أختارها أنا وفي الوقت الـذي أريـده مـع اشـتراط أن يكـون موتـاً صـاخباً وقد أتمادى في الأمر وأفتش عن طريقة أخرى كأن أتخيل :لو أنني تحسست موضع ظلـي وقبـضت علـى رقبتـه وخنقتـه بقـوة ألـف رجـل وقتلـتني. لا ، لا ، هـذا خيـال فـاتر . ولكـن مـاذا لـو أنـني خطفـت طفـلاً غريبـاً عـني -كان مستقبل والديه والغد المشرق لهما بعد عقم عشر سنوات- وقمـت بتقطيعـه وتحويلـه إلى وليمـة أدعـو إليهـا جيرانـي وأصـدقائي هكـذا سأضـمن حكمـا بمـوت سـريع لـن تـستطيع أمـوال القبيلـة كلها درأه عني. هذا حل جيد ، وقيمة الوجع في أعلى وتيرتها ، وسـأكون حـديث المجتمـع بأكملـه ، سـأغدو مـشهورا ولكـن ذلـك يحتـاج إلى مجهـود كـبير في البحـث عمـن تنطبـق عليـه مواصـفات الـضحية ، ولا أمتلـك (سـيارة) لأقـوم بالمهمة بشكل احترافي .الحياة تشعرني بالعار ، ومحارب الساموري كـان يقتـل نفـسه في لحظـات مثـل هـذه ، ولا أدعـي بـأني محـارب مثلـه ولا أريـد أنتهـي كمـا يفعـل هـو -حينما يموت وحده مكللا بالشرف كما يعتقد – بل لا بد من وجـود ضـحايا ، وتحديـداً الـضعيف مـنهم ، وأعتقـد أنـي أسـتحق الـشكر ، فأنـا أسـهل علـيهم العبـور دون أن يقـضوا أعمـارهم يكـافحون ويناضـلون في قـضية محـسوم أمـرهم فيهـا ، ومعلـوم أنهـم سـيهزمون وتـصيبهم أمـراض وعلـل شـتى. وإن كنـتُ لا بـد فـاعلا ؛ فعلـي أن أقـدم شـيئاً كـصدقة

يتـــــذكرني فيهـــا هــــؤلاء الــــضعفاء في العــــالم الآخـــــر.
وعندما أقلص عدد المضطهدين في الأرض فإني أقدم خدمة للبشرية، ورسـالة مفادهـا :إن كنـت تعلـم بأنـك سـتبذر عمـرك في الـدفاع والتحسر على الظلم الواقع عليك؛ فافعل ما يقيك نوبات الصرع و اعتياد الكآبة التجول داخلك . والذي قال بأن الإنسان هو من يصنع نفـسه، كـان يعـيش في زمـن وحوشـه أكثـر وداعـة وإنـسانية، ولم يعـــد هنــــاك إنــــسان يــــصعد الــــسلم مــــن أولـــــه، وأنا لستُ وحشاً ضاريا، ولا رغبة لدي في خوض حروب قد أكـون أعلم مسبقاً عدد الهزائم التي ستأتي عليَّ وتكسر أرجل السُّلم.
عنــــد هــــذا المــــشهد تــــذكرت بــــأن قلــــبي الــــضعيف ســــيكون عائقـــــاً أمــــام تحقيــــق كــــل ذلـــــك .
جــاءني صــوت زوجــتي مــن داخــل المطــبخ وهــي تتــأفف:
-البلاعـة(البالوعـة) مسدودة وبدأت بالطفح وجدتني أهمس في شرود - :أحسن شي!

وشاية اليد السوداء

كان يقص علي ذات حنق. .

المدينة الفانية كانت حاناتها لا ترتدع عن منحك جعة مصنوعة من بقايا نفاياتهم التي تقيأها جوفُ أنذلهم لتكرعه على عجالة قبل أن يلقوا بك في أقرب حاوية ، وليس من حيلة سوى أن تغمغم بلعناتٍ لا تقِف قبل أن يصدَّها سورُ المدينة!

كيف تقتص منهم وأنت وحيد بلا مأوى يحنو على عظامك الضامرة أو رفيقة تبلِّل شفَتي غيظك من أول عبورٍ للخليج وحتى مدفأ الرضيع؟

كنت أحتمي من سيل بذاءاتهم بابتسامة ساخرة مغلّفة بنظرات بلهاء كيلا يدّعي أحدهم بأنه شق صدري وخبر نيتي في الهزء منهم بالتزام صمت العقلاء ، حتى النساء لم يسلموا من تحرشاتهم ؛ فتلك الجارة المسكينة كانوا يخاتلونها لينفذو لابنتها المملوحة ويتحسسون جسدها البض بأعينهم الوقحة وأحيانا بأيديهم في لحظات انشغالها بتنظيف عتبة بيتهم الصغير، وها أنت تعاود الحلم تارةً أخرى ؛ يهيج البحر ويختطفهم أو زلزال يهوي بهم قعر البسيطة ، ولا منقذ سواك تركلهم لتستعيد بقايا كرامة منزوعة غصبا كم هو مجحف ألا يسترسل الحلم أو يغادر المدينة!

أعلم أني هنا أُشذِّب أغصان اليأس كيلا تمتد جذورها في الأعماق ويجف آخر رمق لحلم كان يغفو قريبا من شفتين تكاد أن تيبسا من طول انتظار !

هاكم أضلعي واعتلوها خذوا مني ما خزنت من الأفراح وارتحلوا باتت ملامحي منفضة العابثين أسلموا بقايا جرمهم فوق ترائبي لا ذنب لي سوى أني أعلنت حنقي وفضحت تاريخهم الأرعن ، وأقسمت أن أستبيح زيفهم فسكبت قطرات معدودة كانت وشاية أياديهم السوداء!

وذاك أضعف الإيمان لعاجز وحيد كان قدره أن يحيا بين الضباع!

صلّيت لصديقي وغادرت بأمنية أن تأوي بهم الريح إلى مكان سحيق

عزلة الأصابع

قبل سنة كانت تلتف يدي لتطوق خصرها واليد الثانية تعبث بأزرار (الجوال) لأرسل رسالة لأخرى تحفظ أصابعي مقاس خصرها بدقة في الوقت الذي تتكئ هي برأسها على كتفي وتثرثر في الوقت نفسه استدعي صوت تلك الأخرى أما هي فقد كنت أمعنت في نسيان خصرها وعلمت يدي النكران أحياناً كانت تكتفي بالإيماءات، فلا شيء يستحق تبذير الكلام عققت خصرها وهجرني صوتها الأخرى كانت تعبٌّ من عزلتنا لتتشيء مدينتها كلنا يؤثث عزلته بهدوء أجسادنا تواطأت معنا، لم يعد يضمنا سرير واحد، كلٌ منا ينام في غرفة مستقلة طاولة الشطرنج هي المقبرة الوحيدة التي تجمعنا ثلاثتنا لا أتذكر بأن الترتيب اختلف، هي تهزمني وأنا بدوري أتغلب على الأخرى تعودنا كل يوم جمعة نجهز غداءنا ونتجه للحديقة، في الذهاب هي من يركب بجواري والعودة تستحوذ الأخرى على المقعد وبترتيب مسبق بدون أن يتفوه أحد تم الأمر هكذا باتفاق مبطن لم نصرّح به عندما تغادر إحداهما المنزل لأي سبب كان، أذرع الشوارع على غير هدى حتى تعود، كي نعود معاً عندما يشعران بأن الصمت يكاد يفتك بهما، يبعثان إلى برسائل على الجوال، أو نتحدث عبر المسنجر، بكلمات مقتضبة، آخر محادثة كانت الفيصل لكسر

جمود العزلة المفروض طوعاً، بعدما شقت - هي - قميص صبرها

- متى
- لا أدري
- لم
- لا يهم
- أها
- إن ذهبتُ لن أعود
- إن ذهبتِ لن أعود أيضاً
- وهو كذلك
- وهو كذلك

عندما استبد بها القهر كتبت إلي:

(أنت رجلٌ أناني تعقد صلة وثيقة مع الماضي تنسى أن حاضرنا لن يتكون بدون أن تهيل التراب على ماضيك ، فمتى ستفعل؟)

أحلت رسالتها إلى الأخرى وذيلت تعليقي أسفلها :

- هل تعتقدين بأنها أنثى فارغة؟

ردت علي:

- أنسيت بأنك قد مت العام الماضي، فلماذا لا تطلقني

الفهرس

رجل معتل به

هم ليسوا زمرة من الأوغاد، الذين يرتكبون أبشع الحماقات في الظل، والنهار يكشف موضع السجود المعتق في جباههم.

البعض منهم بسطاء آثروا الحياة على موت حقير في زاويا منسية هم مكتئبون وحزانى الآن.

هم ليسوا مخطئين، وإني لا أشبههم؛ فلا يجدر بي أن أرهق نفسي بالتفكير في الآنيَّة التي توهّموا لأواءها.

ما يقلقني هو ذلك الذي أجهله، وما الذي استطيع فعله فيه للآخرين ولي، ذلك المستقبل الذي يعِدُنا بالجفاف، ويدسُّ لنا الجريمة في الطرقات، ويحذرنا من الفقر وشح المياه، ويزرع فينا الخوف من أمراض مجهولة تنهب صِغارنا.

ما أخشاه هو ذلك المستقبل الذي لا يخجل من التصريح بموت الإنسان الحقيقي

AL-Ruwad Adv. Tel.:2577971-2-3

رقم الإيداع: ١٤٣٢/٢٢٧٢

النادي الأدبي الثقافي